DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة: www.muthuruk.com

اغراض الرسائل السلطانية الاندلسية في عصر بني الأحمر

عزيز حسين علي الموسوي*

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/4/13

تاريخ التعديل : -------

قبول النشر: 2022/4/14

متوفر على النت: 2022/7/19

الكلمات المفتاحية :

الرسائل السلطانية، النثر، الادب الاندلسي، البلاغة.

الملخص

يدرس هذا البحث الرسائل النثرية في الاندلس، ويختص بالرسائل السلطانية منها، ويبحث الموضوعات التي قامت عليها هذه الرسائل الرسمية، وهي موضوعات عدّة، بحسب المقام والحالة والغرض الذي كتبت فيه الرسالة، منها رسائل التهنأة والمباركة، والشكر على الهدايا، والصلح، وفك الاسرى، والاعتذار، والاوامر الرسمية، والتجارة، والنثر الاندلسي حافل بالجماليات والبلاغة التي جعلت منه أدباً جاذباً مؤثراً، وهذا ما نحاول دراسته في هذا البحث.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمة:

تنطلق هذه الدراسة من حقيقةٍ تؤمن أنّ كلام السياسة والإدارة ككلام الحب، يؤسس بلاغته الخاصة فتنطلق طاقته التعبيرية المناسبة، لتنفتح على منظومة من المعاني والإمكانات التي تضيء فيوضاتها المخيلة في مغادرة جغرافية – في النص الإبداعي – الحالة السياسية والإحساس بفعلها الظرفي المادي وخصائصها المضمونية.

نريد لكلام السياسة والإدارة أن يرتقي إلى مستوى الكلام البلاغي الجميل، فقد عُرف العرب بالفصاحة، وسحر البيان، وجوّدوا كلامهم حتى وصفوه ببرود العصب، والحلل، والديباج، وأخذوا بسحره حتى شبّهوه بنغمة الأوتار، وأحسّوا في تذوّق ألفاظهم، نشوة وطرباً كطرب الألحان، وناظروا صياغة الكلام بعقد اللآلئ وصبغة الألوان، فجدير بمن يتكلم أن يتكلم ببلاغة وجمال، وهذا ما دعانا حقيقة إلى دراسة الرسائل السلطانية هذه، ومحاولة الكشف عن مقدراتها البلاغية والجمالية فما زالت الدراسات الأندلسية مفتوحة أمام الباحثين ولاسيما الجانب النثري منها.

أغراض الرسائل السلطانية

صورت الرسائل السلطانية الجانب السياسي والإداري في حياة المجتمع الأندلسي في عصر بني الأحمر، وأُمور الحكم آنذاك، وما يتعلق بأهل الدولة من روابط، وأواصر فيما بينهم، أو بين الآخرين.

وعالجت هذه الرسائل، أمور الإدارة والتنظيم الداخلي، والتشريع والقضاء والاقتصاد، وما يتعلق بالحياة العامة، وشؤون الرعية.

ومن هنا جاءت أغراض هذه الرسائل، ومقاماتها متنوعة بين التهنئة، والتولية، والعزل، وطلب العون، وبين تهديد الخارجين

*الناشر الرئيسي : E-mail : dr.azeezali@mu.edu.iq

عن القانون والمتمردين، إلى رسائل العهود، والأمان، ورسائل الصلح، والإرشاد، إلى الرسائل الموجهة إلى مقام الرسول الكريم (ﷺ)، حاوية شؤون الدولة من "منشورات تتعلق بأهل الذمة أو الرعية، ومن ولاية عهود أو خلع أو دعوة إلى الجهاد ، في سبيل الله أو تولية وزير ووالٍ أو أمر بمعاقبة الجناة"[1].

وإذا ما أردنا تصنيف هذه الرسائل على رسائل داخلية، ما يهم الدولة في تصريف أمورها، ورسائل خارجية، في العلاقات مع الدول الأخرى فان بعض الموضوعات، قد تندرج تحت بابٍ واحد، مثل الاستنجاد، والفتوحات، والجهاد، والشكر على المعونة، تحت باب الرسائل الحربية مثلاً، وهذا ما يمنع تصنيفها على الصنفين المذكورين لتداخل بعض الموضوعات مع بعض، فضلا عن صعوبة معرفة مدى غلبة غرض معين على هذه الرسائل فيما إذا قسمت على أنها رسائل، سياسية، واجتماعية، واقتصادية، لذلك قسمناها على النحو الآتي، عسى أن تكون أيسر للوصف، لان كل رسالة تختلف عن الأخرى باختلاف الغاية التي انشئت من أجلها وإن كانت في مبناها الخارجي أو عناصرها البنائية، متماثلة إلى حد ما. ومن هذه الموضوعات:-

1- **التهنئة والمعايدة:** يذهب الكتاب في هذا الغرض إلى "بسط الكلام في شكر الله ، وتعظيم النصر"[2] وذكر ما يتصف به المرسل إليه من قوة، واقتدار، وإقدام، وما لجيشه من إمكانات النصر، إذا كانت التهنئة بهذا الخصوص، وتكريس عظمة هذا النصر من خلال إبراز قوة العدو، وعدته، أمّا في التهنئة بالزواج والشفاء، فيظهر الكاتب مدى فرحه ومشاركته للمخاطب بسروره، وكأنّ الكاتب هو المهنأ وليس المخاطب.

وتصدّر هذا الغرض، بقية أغراض الرسائل السلطانية، انتشاراً؛ لأنه غرض يُسمح فيه بطرح موضوعات ضمنية أخرى، من خلال التهنئة بموضوعات سابقة.

وعلى الرغم من كثرة موضوعات التهنئة التي يراسل فيها، وتعدد الأغراض التي تحملها الرسالة الواحدة، فإنّنا نجد تشابهاً واضحاً في لغة الكتّاب، وأساليبهم، ويأتي الاختلاف في مهارة الكاتب، وطاقته الأدبية، وطريقته في طرح موضوعه.

وتنماز هذه الرسائل بالطّول، لأنها تتركب من عناصر عدّة، فيها الدعاء، والمدح للمتلقي، وإظهار قدرات المنتصر، وشجاعة جنودهِ، وإبراز أهمية هذا الإنجاز، آنياً ومستقبلياً.

ومن رسائل التهاني، ما بعث بها السلطان الغني بالله*، إلى سلطان مصر الأشرف**، يهنئه فيها باستعادة الإسكندرية[3]، قائلا: "إمّا بعد حمد الله الذي جعل قلادة الإسلام على الدوام، آمنة من الانخرام والانتشار[4]،... القوي الذي لا يغالب قدره بالاحتشاد والاستكثار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا[5] محمد رسوله... والحال ما علمتم، بحر زاخر الأمواج، وجياد ضمرتها مصابرة الهياج[6]، فالنفوس إلى الله تجهر[7] وتسلم، والصبيان في المكاتب تدرب على مواقف الشهادة وتعلم... والحال تزجى[8] بين الحرب والسلم... وارتقاب عاقبة الصبر على حماة الدبر... وسول لهم الشيطان كياد ثغر الإسكندرية شجى صدورهم... ليهدموا ثغور الإسلام[9] بصدمتها، ويعودوا جنّات السواحل في رمتها... ويتلقفوا في القدس كَرّة الكرّة... ويشيموا سيوف التغلّب على الشام... فما هو إلاّ إن طما[10] جرادهم، وخلص إليها مرادهم... حتى اشترك الشرك بعض أسوارها، وقام النهب بمستطرف ديارها... وذُعِر الناس... وارى الشدة من يتدارك الفرج... ونصر حزب الله، من لا غالب له ينصره... وظهر الحق على الباطل... فخرج العدو الخاسر عمّا حازه، السيوف تُرهقه حيث تلفيه... فبادرنا عند تعرّف الخبر المختال، من أثواب المسرّة في أبهى الخبر، المُهدي أعظم العبر إلى تهنئتكم تطير بها[11] أجنحة الارتياح... وما زادنا بجحاً بهذا الفتح... وما تحققناه أنّه يثير من شفقة المسلمين لهذا القطر، الذي لا زال يطرقه ما طرق أهل الإسكندرية على مر الأيام ... والصريح إلاّ من عند الله لا يحسب بالدعاء ألسِنة فضلائه... والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه"[12].

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

بدأ الكاتب رسالته بما يناسب المقام، فقد حمد الله تعالى وصلى على نبيه (ﷺ)، ثم ذكر الحال التي عليها الأندلس، من مكابدة الأعداء، ودوام الاستعداد، لرد الخطر عنها، تلك الظاهرة التي كثُر ترديدها في رسائل بني الأحمر، ولاسيما المتعلقة بأمور الجهاد، ومقاتلة الأعداء، دلالة على خطر السقوط بيد الأسبان، ثم أشار إلى حادثة الإسكندرية، حيث يشترك المسلمون في الدفاع عن أرضهم، بعد ذلك يذكر صورتين متقابلتين، حين دخل الأسبان المدينة، وما أحدثوه فيها، من النهب والهدم، وأثره في نفوس النّاس، ثم يصف الحال التي أعقبت خروج الأسبان من المدينة، وفي النهاية يُظهر مدى ابتهاجه وفرحه بهذا النصر، ثم يدعو الله تعالى لتوفيق السلطان، مع الإشارة إلى حاجة الأندلس إلى كل مساعدة وعون من جميع المسلمين، لأنّ حال الأندلس ليس أفضل من حال هذه البلاد العربية التي تم تحريرها.

ويتكرّر هذا البناء في أغلب رسائل التهنئة بالنصر[13]، ويكون الاختلاف في التهنئة بالزواج والشفاء، بأن يتحدث الكاتب وكأنّه يُهنّئ نفسه بهذه المناسبة السعيدة. ويركز على الحدث السعيد، ويصفه بمبالغة كبيرة[14].

2- **الظهائر الرسمية:** الظهيرُ هو المرسومُ الذي يصدره السلطان، أو من ينوب عنه، بما يتعلق بالتعيين بإدارات الدولة المختلفة، من كتّاب وقضاة وولاة، وعمّال – هم غالباً من أقارب السلاطين، أو ممّن كان لهم شرف الخدمة، وعُجم عودهم، وظهرت فيهم الكفاية والإخلاص للدولة – كما تشمل الظهائر، الإقطاعات، أو الهبات، أو الامتيازات التي يُنعم بها السلاطين لبعض الإفراد، سواءً أ كانوا عاملين في الدولة، أم غير ذلك.

وفي هذه الكتب، يتم مدح السلطان الذي أصدر الظهير، والدعاء له، ومدح المخصوص بهذا الظهير، وبعض النصح والإرشاد للعامة، ولصاحب الظهير، والدعاء له بالتوفيق، مع الإشارة إلى شيءٍ من التحذير له بأنّ الله تعالى يراه والسلطان يتابعه.

وأقدمُ ظهيرٍ وصل إلينا، ما ذكره لسان الدين بن الخطيب، يتعلق بالامتيازات التي أعطاها السلطان محمد بن يوسف*، لأبي بكر بن مُهيب اللخمي**، عام 643هـ[15]. وفيه يذكر الكاتب المسوّغات التي دعت إلى هذا الظهير، وما كان يتحلّى به المخصوص به من صفات، أوجبت إصداره: "... إنّه اخلص أوليائه ودّاً، وأفضلهم قصداً، وأكرمهم عهداً حيث ظهرت له – أيّده الله – أثار آرائه الأصيلة، وبانت في الصّلاح والإصلاح، ميامين مناقبه الجميلة، ووجب له من العناية والمزيات، أتمّ ما توجبه معارفه وتقتضيه مجادته وزهادته، التي لا يفند في وصفها واصف، وأعلن بأنّه – دام عزه – أحقُّ من حفظت عليه مرتبة صدور العلماء الراسخين في العلم"[16]. ثم يذكر الكاتب الامتيازات التي يتمتّع بها صاحبه: "وأمر – أعلى الله أمره – إن يستمر ولزوجه الحرة الأصيلة الزكية... ما اطرّدت بها العادة لهما قديماً، وحديثاً... من صرف النظر في إعشارها، وزكواتها إليهما، ليضعا ذلك في أحقّ الوجوه... وتجديد إحكام ما بأيديهما من الظهائر، والأوامر القديمة والحديثة، والمتضمنة تسويغ الأملاك، على اختلافها، متباين أجناسها وأوصافها، لهما ولأعقاب إعقابها إلى التأبيد والتخليد... وأن يطّرد لشركائهما... ومن اتصل بهما جميل العناية وحفيل الرعاية، وموصول الحماية، الاستمرار الذي يطّرد العمل به مدى الأيّام، وتتوالى التمشية له، من غير انصرام على الدوام"[17].

وفي نهاية الظّهير يبيّن واجب ذوي الاختصاص من الولاة، والعمال، وغيرهم، تجاه صاحب الظهير وتنفيذ مضمون الظهير: "فمن وقف على مضمون هذا الظّهير الكريم، من الولاة والعمال وساير ولاة الأشغال، وليتلقه بغاية الإتمار، والامتثال، إن شاء الله"[18].

وعادة ما جاء هذا النوع من الرسائل مقسّماً على أربعة أقسام[19]، أوّلها: الخطبة، أو مقدمة الرسالة، وثانيهما في ذكر أهمية الوظيفة، وأهمية إنعام السلطان بها، وثالث الأقسام

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

يعرض أوصاف من يستحق الوظيفة، من عدل ودين وشرف نسب، ورابع الأقسام، في الوصايا والنصائح العامة[20].

وفي هذه الرسائل يكون التركيز على ذكر اسم الشخص المخصوص بهذه الوظيفة، واسم السلطان المُنعم بها، وكثيراً ما يذكر الكتّاب تاريخ هذا الظّهير[21].

3- **رسائل مخاطبة الرعية في النصح، والإرشاد والتوجيه، والبشرى بفتحٍ أو سواه:** وتحمل هذه الرسائل، نصائح وإرشادات، ودعوات الالتزام الديني والأخلاقي، ودعوات للوحدة ومقارعة الأعداء، وبشارات النّصر والفتح، والتعبئة للبيعة، وحديث الجنّة والنّار[22].

ويكون الخطاب فيها بصيغة الجماعة، وليس المفرد، فهي موجّهة إلى عامّة النّاس ومن هذه رسالة بعث بها الغنيّ بالله إلى الرعية، تختص بالمواعظ والحكم تليت عليهم في المساجد، يذكر في بدايتها حقوق الرعية على السلطان، وما يوليه السلطان، من رعاية وعناية برعيته، قائلا: "وأنتم أولياؤنا الذين لا ندّخر عنهم نصحاً، ولا نهمل في تدبيرهم ما يثمر غبحاً، وبسبب هذا الاعتقاد، لا نغفل عن نصيحةٍ ترشدكم إذا غفلتم، وموعظةٍ نقصّها عليكم... ونرضى بالسّهر لتنام أجفانكم، وبالكدّ لتترع صِبيتكم..."[23].

بعد ذلك يقدّم لهم المواعظ والنصائح، في شتّى مناحي حياتهم، ممّا يتعلّق بالدين والأخلاق، والمعاملات، والاستعداد للجهاد: "الصلاة الصلاة فلا تهملوها، ووظائفها الكبار فكمّلوها... والزكاة أختها المنسوبة، ولدّتها المكتوبة، المحسوبة، وراعوا حقّ الجار، وخذوا على أيدي الدعرة والفجّار... وعلّموا القرآن صبيانكم، فهو أسّ هذا المبنى... وجاهدوا أهواءكم... وثابروا على خُلق العلم والتعلم... ومن لم يحسن الرمي فليتدرب، وباتخاذ السلاح إلى الله فليتقرب... {أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ، وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ }"[24][25].

ويعود ثانية إلى ذكر مآثر بني نصر، ومبلغ عنايتهم لرعيتهم، وتهيئة كل ما يحتاجونه، خاصة الفقراء منهم والضعفاء ، ومن ذلك بناء المارستان، الذي بناه هو ووالده أبو الحجّاج، شارحاً لهم هدف بنائه، وضرورة الإنفاق عليه، لما له من فائدة، وأهمية في درء المفاسد، ومعالجة المرضى والمجانين، والمغتربين: "وقاعدتكم اليوم قاعدة الدين، والعاقبة للمتقين، وقد اخترعت بها أيامنا وأيام المقدس والدنا الآثار الكبار... وهي مارستان، يضم منكم المرضى المطرحين، والضعفاء المغتربين منهم والمنتزحين... فاشرعوا النّظر في هذا المهم خير شروع... فنحن إن شاء الله نحبس له الأوقاف التي تجري لمرفقه... فليشاور أحدكم همته ودينه، ويستخدم يساره في طاعة الله ويمينه"[26], وبعد الانتهاء من عرض نصائحه ومواعظه، يذكرّهم بوجوب العمل بها، لأنهم أحق الناس بقول المواعظ، مبديا في ذلك، قوة السلطان، بأنّ نصائحه يجب إن تنفّذ: "ومن وراء هذه النصائح عزم يتهيأ إلى غايتها ، ويجبر الكافة على إتباع رأيها ورايتها"[27].

وتنماز هذه الرسائل، بأنها مشبعة بالأفكار الدينية، والآيات القرآنية، والحكم، وتأتي طويلة، كثيرة الأفكار، وقد يتخللها التكرار بالأفكار في بعض الأحيان[28]، وبرز في هذه الرسائل الكاتب لسان الدين ابن الخطيب، لتجربته الطويلة في الحياة والكتابة، وقربه من سلاطينه[29]، وأهم موضوعاتها: النصح، والإرشاد، والبيعة، والدعوة للوحدة والجهاد، والحث على الصلاة والزكاة، ونقل بشرى النصر والفتوح.

4- **الرسائل الحربية:** ظهرت هذه الرسائل بسبب كثرة الحروب والصدامات بين عرب الأندلس والأسبان المجاورين لهم، وانقسام المسلمين إلى دويلات متناحرة، وفي هذه الرسائل توصف المعارك الداخلية والخارجية، والجيوش وعدتّها، ونقل أحداث الانتصارات والفتوح، ووصف تحركات الجيوش ومناوراتها، والتحذير من العدوّ، ومن فرقة الصف.

وانمازت هذه الرسائل بقصرها قياساً بغيرها من الرسائل، وكأنّها كُتبت مستعجلة، وتطرح غرضها بدقة ووضوح، وهي أقل

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

من الأغراض الأخرى التي سبقتها. ومنها ما صدر عن السلطان يوسف الأول* إلى السلطان أبي عنان المريني** سلطان المغرب، تتعلق باستعدادات سلطنة غرناطة الحربية للتعاون مع المغرب ، ولاسيما بتهيئة الأسطول الحربي ، لتحصين الشواطئ الأندلسية ، لرد غارات الأسبان البحرية المفاجئة ، قائلاً : "المقام الذي يجب إلى مرضاته التسرّع... سلام كريم، طيب بَرٌّ عميم... فإنّنا تعرّفنا في هذه الأيام، من خدّامكم الوافدين علينا بهديتكم، ما عندكم من استدعاء الأساطيل المنصورة من محل إنشائها، والاستكثار من عدد حركاتها واقتنائها، وبادرنا لسبر ما عندكم من التشوّف إلى ما لنا من الأساطيل الجهادية، والمقاصد المدادية... نشرع في إصلاحها وتيسيرها، وننظر في إبرام أمورها، لتكون مرهفة الحد، آخذة أهبتها قبل القصد... وقد كانت عادة والدكم، وأزلف الله إليه، وجدد ملابس الرحمة عليه، إن يصدر عنه مكتوب بمقدار ذلك الإمداد، وتعيين وضعه من سواحل البلاد"[30].

أظهرت الرسالة استعداد غرناطة لمساعدة المغرب، عسكرياً بوساطة أسطولها القوي، الذي يجوب البحر، وقد طلب الكاتب من المخاطب إصدار مكتوب مفصّل، فيه ما يحتاجه أهل المغرب من المساعدة الحربية ليتسنى لغرناطة توفيره.

ويلاحظ على هذه الرسائل التشابه في البناء العام لها، من المقدمة والخاتمة وعرض الموضوع[31]، والوضوح، والدقة في الطرح.

5- **الشكر على الهدايا:** تتعلّق رسائل الشكر الصادرة عن ديوان الإنشاء، بالرد على ما يَرِدُ السلطان من هدايا، اعترافاً بالجميل على هذه الهدايا، وغالباً ما تشير هذه الرسائل، إلى الأثر البالغ، لهذه الهدية في ازدياد قوة المسلمين، المادية والمعنوية، وكونها سبباً في صمودهم، وانتصارهم, ودلالة على مشاركة أصحابها في الجهاد، والدفاع عن الأندلس، مما يؤكد وحدة الأمّة الإسلامية في وجه الأخطار، التي تهددها. وكان يرفق – غالباً - مع هذه الهدايا رسائل من أصحابها، إلى المخصوص بها، ولا ينسى الكتّاب الإشارة إليها في رسائلهم، والثّناء عليها.

وكان سلاطين غرناطة يتبادلون الهدايا مع الدول النصرانية، في أوقات المسالمة، توكيدا لحسن الجوار، وحسن النوايا، ولكن المصادر التي بين أيدينا، لم تشر إلى تلك الهدايا المتبادلة بينهم، أو الرسائل التي تبودلت بهذا الخصوص، إلاّ أنّ ابن خلدون ذكر في كتابه التعريف، أن الغني بالله أرسله إلى سلطان قشتالة في سفارة سياسية، لإتمام صلح بينهما، وأشار إلى أن الغني بالله أرسل معه هدية فاخرة "من ثياب الحرير والجياد المقربات بمراكب الذهب الثقيلة"[32].

وهذه الرسائل أقل انتشاراً من سابقاتها[33]، وفيها يضع الكاتب طاقته، في المدح والثناء على المخاطب وسلالته.

ومن رسائل الشكر، رسالة بعث بها الغني بالله، إلى صاحب تونس ابن يغمراسن، عندما بعث بطعامٍ إلى الأندلس، يصف فيها الهدية بأنها بادرة طيبة، ومقدمة لمواهب كبيرة ستتلوها، في سبيل إخلاص النية في المساهمة في الجهاد في سبيل الله: "وإلى هذا – أيد الله

سلطانكم - ... فإننا ورد على بابنا (فلان)... ووصل بصحبته ما حملتهم جَفنَه[34] من الطعام، إغاثةً لهذه البلاد الأندلسية[35]، والإمداد التي افتتحتم به ديوان أعمالكم السّنية، وأعربتم عما في سبيل الله من إخلاص[36] النية، وأخبر أن ذلك إنما هو رشة من غمام، وطليعة من جيش لمام، ورفد من عدد، وبعض من مدد، وأنّ عزائمكم في الإعانة، والإمداد على أولها، ومكارمكم تُنسي[37] الماضي بمستقبلها. فأثنينا على قصدكم الذي لله أخلصتموه، وهذا العمل البَر الذي خصصتموه، وقلنا لا ينكر الفضل على أهله، وهذا بِرٌّ صدر عن محله، فليست إعانة هذه البلاد الجهادية ببدع من مكارم جنابكم الرفيع، والإشارة[38] فيما أسدى على الأيّام من حسن الصنيع"[39].

ثم يذكر الكاتب، كيفية الإفادة من هذه الهدية، في دعم المجاهدين، لأنّ ذلك أفضل الوجوه في تصريفها، لتكون خالصة لوجه الله. وإشارة إلى ما لقيته هذه الهدية من تقدير لدى الأندلسيين، وتقديراً لمُرسلها في اختيار أفضل السبل في إنفاقها:

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

"وسنى الله سبحانه، أن فتح جيشنا حصناً من الحصون المجاورة لغربي مالقة ... فجعلنا ذلك العام الذي وجهتم، طعمه حماته، ونفقات رجاله ورماته، اختيارا له أرضى المرافق في سبيل الخير وجهاته"[40].

وكان الكتّاب يركزون في هذه الرسائل على إظهار أن ما يصلهم من هدايا – أيّاً كانت – هي من باب الإعانة على الجهاد ، لذلك كانوا يكلون الشكر والثناء عليه سبحانه وتعالى، نوعاً من أدب المخاطبة مع مرسليها، بإبراز قصورهم في توفية حق مرسليها من الشكر، والعرفان بالجميل.

وكانوا يعمدون إلى الإطناب – غالباً – في وصف الهدايا، لإبراز مدى وقعها في النفس، وأثرها في دعم المجاهدين[41].

كذلك كانوا، يعمدون إلى الإعلاء من شأن الهدية، وتخيّر أفضل المواضع للإفادة منها، تقديراً وإجلالاً لمرسليها، وبيان مدى مشاركتهم في شرف الجهاد في هذه البلاد.

6- **المعاهدات والصلح وتوكيد المعاهدات:** كانت سلطنة غرناطة، ترتبط مع غيرها من الدول، ببعض المعاهدات والاتفاقيات، لتنظيم العلاقة بين سلطنة غرناطة، وجاراتها الدول الأوربية، وهذه المعاهدات – غالباً – ما تتبع عملاً حربياً بينهما، أو بعد إنهاء مدة إحدى المعاهدات. لمّا كانت تنماز بها العلاقة بين الطرفين، من عنف، وحروب دامية، دينية وجغرافية، وعرقية.

وتنماز هذه الرسائل بقصرها، وقلة الفنون البلاغية فيها، لأنها موجهة – غالبا – إلى غير العرب، ممن لا يعرفون البلاغة العربية، كونها لا تحتمل التأويل. جاءت مباشرة في الغالب.

ومن موضوعات هذه الرسائل الصلح، والعهد، والمهادنة، وهذه في اللغة "المصالحة ويقال هادنه مهادنة إذا صالحه، وهي في الشرع عبارة عن صلح يقع بين زعيمين في زمن معلوم بشروط مخصوصة"[42].

وكثيراً ما تأتي هذه الرسائل، متشابهة في بنائها، تبدأ بالبسملة والحمد والصلاة على الرسول الكريم (ﷺ)، وعادة ما يذكر اسم المرسل مفصلا فيها، وتختم بتاريخ الرسالة.

ومن هذه المعاهدات، رسالة بعث بها أبو عبد الله محمد الثاني* إلى ملك اراغون عام 701هـ[43] ، وقد بدأ الرسالة بالبسملة والسلام على الرسول الكريم (ﷺ)، وأصحابه الكرام، ثم يشرع بذكر أطراف المعاهدة، وما تحت حكم كل منهما، وبذلك تكون الصورة واضحة المعالم عن المناطق الواقعة في المعاهدة، بصورة إعلان التزام بهذا الاتفاق: "ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب، إنّ الأمير أبا عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله نصر، سلطان غرناطة ومالقة وما إليها، وأمير المسلمين، ننعم لكم أيها السلطان المعظم (دون خايمي)، ملك أراغون، وبلنسية، ومرسية، وكند برجلونة، بأن نكون لكم صاحباً وفياً، ويكون بيننا وبينكم صلح ثابت وصحبة صادقة"[44].

بعد ذلك يدخل في تفاصيل بنود الصلح بنداً بنداً، والتزام كل طرف منها تجاه الطرف الأخر: "... يكون فيها أصحابكم أصحابنا، وأعداؤكم أهل قشتالة أعداءنا، ونرفع الضرر والفساد عن بلادكم، وأرضكم من بلادنا وأرضنا... على أن تكونوا أنتم لنا كذلك، صاحبا وفيا... وإن اتّفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدوة، أو ناس من أهلها، فيكون حكمهم في ذلك كسائر بلادنا الأندلسية"[45]، وبعد سرد أطراف الاتفاق وبنوده، يختم الكتاب بالتنويه على بالالتزام بمضمونه، وصحة ما ورد فيه، بوضع خط يده عليه وتاريخ الرسالة والعلامة السلطانية[46].

وجاءت رسائل المعاهدات على نحو واضح، ودقيق في كل ما يطرح من قضايا، مع الحرص على التسلسل المنطقي والموضوعي لبنود الاتفاق، باعتماد العبارة الواضحة التي لا تحتمل معنى آخر، خالية من الزخرفة اللفظية، حيث لا عناية لهم بها في هذه الرسائل[47].

كما أن سمة الإيجاز بارزة فيها، هذا ما يتطلبه الموضوع، وطبيعة الموقف، الذي لا يحتمل اللف والدوران حول المعنى[48].

وحافظت رسائل المعاهدات، على رسومها، وأسلوبها، حيث كانت تبتدئ بالبسملة والصلاة والسلام على الرسول (ﷺ) ثم الابتداء بذكر سلطان غرناطة، مع الدعاء له، ثم ذكر المخصوص بالرسالة، ولم يتغير هذا الأسلوب حتى انتهاء دولة بني الأحمر.

7- **الرسائل النبوية:** تعد الرسائل النبوية تعبيراً عمّا يعتري الأمة الإسلامية في الأندلس، من خوف وقلق على مصيرها، بعدما اشتد ضغط الأسبان عليهم، وباتوا يقضمون البلاد شيئا فشيئا، فكانوا يبعثون بهذه الرسائل إلى ضريح الرسول الكريم (ﷺ) يستجيرون به من كل ما يتهددهم من خطر الأسبان، وسقوط الأندلس بأيديهم.

ولم يعرف على وجه التحديد متى بدأ هذا الفن الأدبي، إلاّ أن هذه الظاهرة، ربما أعقبت الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب، الذي بدأه أبو العباس العزفي صاحب سبتة، وابنه أبو القاسم[49]، ومن أوائل الرسائل النبوية التي وصلت إلينا رسالة كتبها أبو عبد الله محمد بن محمد الجنّان*، عن نفسه.

وقد وصل إلينا، من عصر بني الأحمر، رسالتان كتبهما لسان الدين بن الخطيب، الأولى عن أبي الحجاج يوسف الأول[50]، والثانية عن الغني بالله محمد الخامس[51].

بدأت الرسالة الأولى التي بعثها أبو الحجاج يوسف الأول[52]،الى سلطان المغرب بقصيدة بمعنى الرسالة، مطلعها:- (الطويل)

إذا فاتَني ظِلُّ الحِمى ونعيمُهُ كَفانِي، وحَسبِي أنْ يَهبَّ نَسيمُهُ[53]

بعد أن يدخل إلى الرسالة بهذه القصيدة، يبدأها بتوجيه الخطاب إلى الرسول الكريم (ﷺ)، ذاكرا صفاته ونعوته، وما ينماز به من البشر، قائلا "إلى رسول الحق إلى كافة الخلق... خاتم الأنبياء، وإمام ملائكة السماء، ومن وجبت له النبوة، وادم بين الطين والماء... ذو[54] المعجزات أثبتها المشاهدة والحس، وأقرّ بها الجن والإنس... سيد الرسل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب"[55].

ثم يذكر اثر الرسول الكريم (ﷺ) في من تبعه، والصلاة والسلام عليه: "الذي فاز بطاعته المحسنون، واستنفذ بشفاعته المذنبون... ﷺ، ما لمع برق، وهمع ودق[56]، وطلعت الشمس، ونسخ اليوم أمس"[57].

وبعد أن يخلص من توجيه الخطاب إلى الرسول (ﷺ)، يذكر اسم باعث الرسالة، شارحا حب الرسول (ﷺ) عنده، مقدما ذلك على ذكر اسمه: " من عتيق شفاعته، وعهد[58] طاعته، المعتصم بسببه، المؤمن بالله ثم به، المستشفي بذكره كلما تألم، المفتتح بالصلاة[59] كلما تكلم... المتوسل إلى رضى الله[60] وربه، يوسف بن إسماعيل بن نصر"[61].

ثم يصف ما به من وجد وشوق شديدين لزيارة الضريح الشريف، مبدياً سبب حرقته على ذلك، للدلالة على شدة شوقه: "كتبه[62] إليك يا رسول لله، والدمع ماح، وخيل الوجد ذا[63] جماح ، عن شوق يزداد ، كلما نقص الصبر، وانكسار لا يتاح له إلا بدنو مزارك الجبر"[64] بعد ذلك يتغنى بالبلاد التي ضمت الضريح الشريف، مبديا قدسية المكان، ومدللا بذلك على تعلقه به. ويهدي رسول الله (ﷺ)، ونزيل تلك المعاهد: "فيا لها من معاهد فاز من حياها، ومشاهد ما أعطر رياها، بلاد نيطت بها عليك التمايم، وأشرفت بنورك منها الجنود والتهايم"[65].

ثم يذكر أن لا يطفئ ظمأه وشوقه، إلا زيارة الضريح الشريف، مؤكدا ذلك بالقسم، دلالة على صدق عاطفته: "أما والذي بعثك بالحق هادياً، وأطلعك للخلق نوراً بادياً، لا يطفي علتي إلا شربك، ولا يسكن لوعتي إلاّ قربك"[66]. ثم يشرع بشرح العوائق التي حالت بينه وبين زيارة الضريح الشريف، مستعملا لغة المبالغة في الوصف، كي يكون هذا الشرح ابلغ في تقبل العذر، فان المسلمين هناك – على قلتهم – يقاتلون، عدواً لدوداً، كثيرا بعدده وعدته.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

والمسلمون قد وطّنوا أنفسهم على الصبر والجهاد، يستعذبون ذلك كي تكون كلمة الله هي العليا: "واني لما عاقتني عن زيارتك العوائق – وان كان شغلي عنك بك - وصدتني[67] الأعداء فيك عن وصل سببي بسببك، وأصبحت بين بحر تتلاطم أمواجه، وعدو تتكاثف أفواجه... في طايفة من المسلمين، بك وطّنوا على الصبر نفوسهم، وجعلوا التوكل على الله وعليك لبوسهم"[68].

ولهذا الأسباب وغيرها، بعث بهذه الرسالة نيابة عنه، ليؤدي حاملها، ما يجب القيام به تجاه الرسول الكريم (ﷺ)، من إهداء السلام، والخشوع أمام ضريحه الشريف.

وينهي توجيه الخطاب إلى الرسول الكريم (ﷺ) بالصلاة والسلام عليه، وعلى اله خاصاً منهم الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ذاكراً نعوتهم دون أسمائهم، ثم يختم الرسالة بذكر موضع إصدارهاً، مع الدعاء لذلك الموضع: "وكتبت بجزيرة الأندلس، غرناطة صانها الله[69] ووقاها، ودفع عنها ببركتك كيد عداها"[70].

والرسالة الثانية التي بعثها الغني بالله محمد الخامس إلى الضريح الشريف[71]، عام 771هـ[72].

8- **الاستنجاد:** كانت الأندلس منذ بداية الفتح الإسلامي لها، تتعرض لإخطار حروب دامية، عقائدية وسياسية، وجغرافية، تهدف إلى اقتلاعها، والسيطرة عليها، وكانت هدفاً رئيساً للدولة الأسبانية آنذاك، حتى كادت أن تسقط بأيديهم، إلى أن جاء بنو الأحمر، فتولوا أمر الدفاع عنها، بعد أن ضعفت المقاومة، بسبب الحروب والفتن الداخلية، وكانوا يستعينون على ذلك بغيرهم من الدول الإسلامية، خاصة عدوة المغرب، وقد واصلوا في ذلك سنة أسلافهم الأندلسيين، باستعانتهم بعدوة المغرب.

وكانوا في سبيل ذلك يعملون على إرسال الكتب، والوفود التي تحث على الجهاد، والدفاع عن هذه البقعة المسلمة.

وقد عمد الكتاب في رسائل الاستنجاد، إلى إيجاد المبررات التي استدعت طلب النجدة، من خلال وصف حال المسلمين، مقارنة بأعدائهم، كما استعملوا التعابير الدينية، مع تضمين هذه الرسائل الكثير من الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد، وفضائله، وما يدّخره الله تعالى للمجاهدين.

أمّا الألفاظ فقد كانت مختارة، بحيث تستثير الحمية، والشفقة، وتخاطب الوجدان و العاطفة، لتكون أكثر أثرا في نفوس المرسل إليهم.

ومن ذلك رسالة بعث بها، السلطان محمد الفقيه، إلى سلطان المغرب أبي عنان، يستحثه فيها على نجدة الأندلس، وابتدأ الرسالة بوصف ما آلت إليه الحال في الأندلس، وما يعتري المسلمين هناك من خوف، وقلق على مصيرهم، بسبب تكالب العدو عليهم، واستعمل الكاتب، جانب التأثير النفسي، والشعور الديني، لتكون للرسالة أكثر أثرا في النفس، في استدرار الغوث، وشحذ العزائم، وإثارة الحمية، من خلال ذكره، قتل الرجال، وسبي النساء والقضاء على الدين: "فقد تطاول العدو... على بلاد الإسلام، واهتضم جانبها كل الإهتضام، وقد استخلص قواعدها، ومزق بلدانها، وقتل رجالها، وسبى ذراريها ونساءها"[73].

بعد ذلك يتوجه، بطلب العون والمساعدة، مستعملاً جانب الترغيب، فللأندلس مكانتها في الدنيا والآخرة، من حيث وفرة خيراتها، وفضل الجهاد فيها: "فابعث باعثك إلى نصر مناره، واقتباس نوره، فان شئت الدنيا فالأندلس قطوفها دانية، وجناتها عالية، وإن أردت الآخرة منها جهاد لا يفتر، وهذه الجنة أدخرها الله لظلال سيوفكم... ونحن نستعين بالله العظيم، وبملائكته المسومين، ثم بكم على الكافرين"[74].

وظلت رسائل الاستغاثة والاستنجاد ترد على عدوة المغرب أيام دولة بني مرين، والوفود تتوالى عليها شارحة تكالب العدو عليها، وكانت المغرب تستجيب لكل صرخة استغاثة، حتى لفظت دولة المرينيين أنفاسها عام869هـ[75]. بعد ذلك لم يكن أمام سلاطين الأندلس، إلا التوجه إلى المشرق، حيث المماليك في مصر[76]، يستحثونهم، ويستصرخونهم لمناصرتهم، بعدما تقطعت بهم الأسباب.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

9- **التعازي:** هي الرسائل التي تصدر عن السلطان، في الحوادث والملمات، وبما يتعلق بالوفاة، سواءً أ كانت وفاة الآباء، أم الأبناء أم الأمهات، أم الأقارب، وما شاكلهم، للمواساة بالمصائب، وتخفيف اثر الفجيعة على صاحبها، مع تأكيد المشاركة في الم المصاب.

وهذه الرسائل تنوب عن حضور السلطان بشخصه للعزاء، وكانت ترفق مع وفد رسمي لهذه الغاية، وعادة ما توجه هذه الرسائل إلى السلاطين والملوك في الدول الأخرى، إذا ما وجب ذلك.

وتنماز هذه الرسائل بالإيجاز، لأنّ حالة الحزن، لا تحتمل طول الكلام، لحزن المخاطب وألمه الشديد، وفيها يكون الدعاء للمعزى بالصبر والسلوان، ويبشره بان الجنة من نصيب الصابرين.

ويمزج فيها الكاتب المدح بالعزاء، مصوراً المخاطب بأنه صلب لا تكسره المصائب، ولا تلينه الأحزان.

وفي أحيان قليلة، يمزج العزاء بالتهنئة، عندما يكون المتوفى سلطاناً، يعين بعد وفاته ابنه السلطان الجديد، فيجمع الكاتب القضيتين (التعزية والتهنئة) في نص واحد.

ومن هذه الرسائل، رسالة بعث بها السلطان أبو الحجاج يوسف الأول، إلى نظيره المغربي، أبي عنان، يعزيه بوفاة والدته. تصف الرسالة الأثر الذي تركه خبر الوفاة، من ألم، وحرقة، وحزن شديد: "فإننا اتصل بنا ما أشرق الأنفاس بصعدايها، واشجي النفوس بدايها، وغمر الشؤون بمايها... فيا له من فاجع لم ينفع فيه إلا الاسترجاع، وخطب تساوى عند الجبان والشجاع... [أصاب][77] الملك بأعلى ذخائره المحسوبة، وأسنى حسناته المكتوبة"[78]. لكن العزاء في هذا الأمر، هو من عادة الأيام، التي لا تبقي على حال، والعزاء فيه أن السلطان لم يصبه مكروه، فهو "القطب الذي تدور عليه الدنيا والآخرة"[79] وسينال الفقيدة من دعواته، وجهاده ما "يتصل لها بكم في الدارين أسباب السرور، وتقر عينا تفد على ضرعها المبرور من البركة الهامية والنور"[80]. ثم يهوّن على السلطان من هذا الأمر بأنه "ثبت عن رسول الله ﷺ، انه قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله من ثلاث، فذكر ولداً صالحاً يدعو له، وصدقة جارية، وعملا ينتفع به. وقد اجتمع لها الثلاثة والحمد لله في نظم متسق، وتالف لها منه كل مفترق"[81]، ويؤكد له لو أن الأمر يفدى، لما توانوا عنه، لكن قضاء الله وقدرة الذي لا راد له، فما عليه إلا الصبر، والقدوة الحسنة بالرسول الكريم: "واعلموا أيدكم الله، أن هذا الخطب الذي طرق ذلك الجناب... لو كان مما يقبل فيه الفدا، أو يعمل بسببه الندى، لكانت النفوس من خلصان مقامه الرفيع، وأوليائه بعض فدائه"[82].

بعد ذلك يخبر السلطان بأنه ما أنْ وصله الخبر حتى بعث برسوله إليه للقيام بواجب العزاء، معتذرا عن عدم مقدرته على الحضور بشخصه، تاركاً تقدير الأمور لحصافة السلطان، لكنه أرسل احد قرابته، إجلالاً له، إذ الرسول من ذوي السلطان، وليس من عماله: "وأننا لما وصل بنا الخبر، وجهنا إليكم من ينوب عنا في سنة العزاء، ولولا حكم الضرورة لم نقنع برخصة هذا الإجراء، لكن الأمور مثلكم من يتأملها، والأعذار فضلكم يقبلها، والذي عينا لذلك هو قريبنا الريس الأجل، أبو جعفر بن الريس، المرحوم أبي الحسن بن نصر"[83].

10- **الشفاعة :** نتج هذا النوع من الرسائل، عن محاولة كثير من "الكتاب المشهورين، استخدام مكانتهم، وقدرهم، وأقلامهم في إعانة ذوي الحاجات على قضاء حاجاتهم"[84].

وفي هذه الرسائل يقوم الكتاب، أولاً، بالإشارة إلى المودة والإخاء والاحترام المتبادل بين المرسل والمرسل إليه، ثم ينتقلون إلى موضوع الشفاعة والتوصية الذي يرمون إليه، شاكرين المخاطب في الختام.

والملاحظ على هذه الرسائل أن جميع أجزائها، تكرّس قضية الشفاعة، فالمقدمة، والمدح، والدعاء جميعها، تؤشر معنى الشفاعة وكرمها.

ومن ذلك الرسالة التي بعث بها لسان الدين بن الخطيب، إلى سلطان المغرب أبي عنان المريني، في الشفاعة لقاضي الجماعة في

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

المغرب آنذاك، قائلا: "المقام الذي يحب الشفاعة، ويرعى الوسيلة، ويضفي حجره، المنن الجزيلة، مقام محل والدنا الذي، كرم مجده ووضع سعده وصح في الله تعالى عقده، وخلص في الأعمال الصالحة قصده... أبقاه الله سبحانه لوسيلة يرعاها، وشفاعة يكرم مسعاها... فإنّا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزه مشيدة البناء... فإنّا خاطبنا مقامكم الكريم في شان الشيخ الفقيه الحافظ الصالح، أبي عبد الله المقري، خار الله تعالى لناوله... جوابا عما صدر من مثابتكم فيه حق الإشارة المتمثلة... وسألنا منكم أن تتبعوه ذلك الغرض، والذي رماه بعزمه وقصر عليه أقصى همه..."[85] ثم يختم الرسالة بالدعاء للمخاطب.

وهذا النوع من الرسائل، قليل إذا ما قيس بالرسائل الأخرى، لكنه يوحي بوجود روح، إنسانية، تدعو إلى العفو ومساعدة الآخرين.

11- **رسائل فك الأسرى:** لكثرة ما آلت إليه البلاد، من مشكلات وحروب، وغزوات، سقط الكثير من الأسرى، والمحتجزين لدى الخصوم، مما تطلب المراسلة بهدف تحريرهم، فظهر نوع آخر من الرسائل السلطانية، هو رسائل فك الأسرى. وهذه متشابهة في أجزائها من البدء والعرض والختام، ووضوح التفاصيل.

وكثرت هذه الرسائل في المرحلة الأخيرة من حكم العرب المسلمين للأندلس، للأسباب المذكورة آنفاً من حروب وانقسامات.

ومن هذه الرسائل ما كتبه السلطان يوسف الأول، إلى ملك أراغون (الفونسو) في استرداد أسير لديه، قائلا: "السلطان المعظم، الأجل المكرم، المبرور... دون النهشة ملك أراغون... وصل الله تعالى بتقواه... من الأمير عبد الله بن أمير المسلمين، أبي الوليد، إسماعيل بن فرج بن نصر... كتبناه لكم من حمراء غرناطة... وإلى هذا فأن أبا إبراهيم القصار من أهل المرية، أخذ أسيراً في الصلح الذي بيننا وبينكم، وموصلُ هذا، إليكم توجه في طلبه، فالقصد منكم أن تأمروا بإعادته على الوصول إليه، فانه ذكر أنّه يعرف حيث استقر في بلادكم، فعسى أن تعملوا في ذلك ما هو المعلوم من وفائكم... ونحن نشكركم على ذلك أتم الشكر، والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً"[86].

وفي هذه الرسائل، تظهر العناية بالبسملة، والحمد، والصلاة، وذكر اسم السلطان المرسل والدعاء له، وموضع كتابة الرسالة.

ومن خلال ما تقدم، يتضح أن الرسائل السلطانية مثلت حياة الأندلس آنذاك، بكل تفاصيلها، في شؤون الرعية، وفي التهنئة، والتعازي، وفي مخاطبة الجيران في الصلح والمعاهدات، وفي الشفاعات وفك الأسرى، وفي نصح الناس وإرشادهم، وقد اختلفت أساليبهم في تجسيد كل غرض حملته هذه الرسائل وكثرت وتعددت أغراض الرسائل السلطانية، كثرة الرسائل السلطانية نفسها وتعددها.

الهوامش:

(1) العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1977م، 511 .

(2) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1960م، 218.

* محمد بن يوسف بن إسماعيل، ثامن سلاطين بني الأحمر ولد سنة 739هـ، تولى الملك بعد مقتل والده سنة755هـ إلى 760هـ،وعصره عصر سؤدد ورخاء، ينظر: درة الحجال في أسماء الرجال، أبو العباس أحمد بن القاضي، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة، تونس،ط1، 1970م، 2:277

** الملك الأشرف شعبان بن حسين، تولى الحكم 15 شعبان 764هـ، وعمره عشر سنوات، وبقي في الحكم حتى عام 778هـ، ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية، د.ت، 24:11

(3) اخذ الفرنج مدينة الإسكندرية ، في 23 محرم 767هـ ، ومكثوا فيها أربعة أيام ، ثم هربوا منها ، بعد أن علموا بقدوم جيش المسلمين ، ينظر : النجوم الزاهرة ، 30:11 .

(4) في صبح الأعشى في صناعة الانشا ، احمد بن علي القلقشندي ، شرحه وعلق عليه ، نبيل خالد القطب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987م ، 111:8 ، "والانتثار" .

(5) في المصدرالسابق ، "الصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله" .

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

(6) في المصدر السابق ، 113:8 ، توجد بعد ذلك عبارة : "وحرم له إلاّ اتقاء الله مقتحم السياج" .

(7) في المصدر السابق ، "تُجهز" .

(8) في المصدر السابق ، "ترجى" .

(9) في المصدر السابق، 114:8، "ثغر الإسلام".

(10) في صبح الأعشى، 8: 114، "صَمَا" .

(11) في المصدرالسابق 116:8، "بنا" .

(12) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1981م، 1:259-303، صبح الأعشى، 8:108-118 .

(13) لمزيد من الأمثلة ينظر: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، لسان الدين الخطيب، تحقيق: د. محمد كمال شبانة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، 107-108 .

(14) لمزيد من الأمثلة ينظر : ريحانة الكتاب ، 1:318-321 .

* هو الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر، أول سلاطين بني الأحمر تولى الحكم من سنة 635هـ إلى 671هـ، جاء بعده السلطان محمد بن يوسف الفقيه، ينظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م، 42–49.

** هو محمد بن مُفضّل بن مُهيب اللخمي، كنيته أبو بكر، من أهل شلب، أديب وخطيب وشاعر عظيم النزاهة، هو الذي عقد الصلح بين ابن الأحمر وابن الرهيمي، حين مهاجمة ابن الأحمر للمريّة، توفي سنة 645هـ، ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، تح: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1973م، 2: 418–421.

(15) ينظر :المصدر نفسه،2:420-421 .

(16) المصدر نفسه ، 2:420-421 .

(17) الإحاطة، 2: 420–421 .

(18) المصدر نفسه ، 2:420-421 .

(19) ينظر: حسن التوسل في صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد، د.ط ، 1980م ، 156-157 .

(20) لمزيد من الأمثلة ، ينظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق: احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، 1968م ، 7:62 . وريحانة الكتاب ، 2:80-83 .

(21) لمزيد من الأمثلة، ينظر: صبح الأعشى، 11:19-23.

(22) ينظر : ريحانة الكتاب ، 2:42-43 .

(23) ريحانة الكتاب ، 2:63 .

(24) الشعراء، 181، 182، 183.

(25) ريحانة الكتاب ، 2:42-43 .

(26) المصدر نفسه ، 2:63 .

(27) المصدر نفسه .

(28) لمزيد من الأمثلة ينظر : ريحانة الكتاب ، 2:183-184 .

(29) لمزيد من الأمثلة ينظر : كناسة الدكان ،

* هو يوسف بن إسماعيل بن فرج، ولد عام 718هـ، تولى الحكم 733هـ بعد أخيه السلطان محمد بن إسماعيل، قتل سنة 755هـ، ينظر الإحاطة، 4: 318، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ابن الخطيب، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1980م، 102–112 .

** هو فارس بن علي عثمان عبد الحق المريني، يكنى بأبي عنّان، ولد سنة 729هـ، بويع في حياة أبيه 749هـ، مات خنقاً على يد وزيره الحسن بن عمر الفودي 759هـ، ينظر كناسة الدكان، 57، روضة النسرين في دولة بني مرين، الأمير إسماعيل بن محمد بن الأحمر، المطبعة الملكية، الرباط، د.ط، 1962م، 27 .

(30) كناسة الدكان ، 99 .

(31) لمزيد من الأمثلة ، ينظر : ريحانة الكتاب ، 2:67 .

(32) التعريف بابن خلدون ورجلته شرقا وغربا ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، والقاهرة ، د.ط ، 1951م ، 84 .

(33) لمزيد من الأمثلة ينظر : ريحانة الكتاب ، 1:403-407 ، كناسة الدكان ، 150-152 .

(34) في صبح الأعشى ، 7:49 "جفنة" .

(35) في المصدر السابق ، 7:49 "برسم إعانة هذه البلاد الأندلسية" .

(36) في المصدر السابق، 7:49 "خلاص".

(37) في المصدر السابق ، 7:49 "يُنسى" .

(38) في المصدر السابق ، 7:49 "والاشاذّة" .

(39) ريحانة الكتاب ، 1:403-407.

(40) المصدر نفسه، 1:403-407.

(41) لمزيد من الأمثلة، ينظر كناسة الدكان، 150-152.

(42) صبح الأعشى، 14:2-3.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

*ابو عبد الله محمد الثاني بن محمد بن يوسف يلقب بالفقيه , حكم سنة 671 هـ إلى 701 هـ توفي مريضا في 1 شعبان 701 هـ خلفه محمد الثالث الملقب بالمخلوع , ينظر:ازهار الرياض في اخبار عياض, احمد بن محمد المقري التلمساني , صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك بين المغرب والامارات العربية المتحدة , د.ط, 1978م 341:2, الاحاطة , 565:1

(43) الرسالة موجودة في الحلل السندسية، 289-286:2، وفي الوثائق السياسية والإدارية للأندلس وشمال افريقية، د. محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، سوريا، د.ط، 1980م،450-453، ويقول شكيب ارسلان أن هذه الرسالة للسلطان محمد المخلوع ابن السلطان محمد الفقيه "بلا شك وريب"، لكن تاريخ المعاهدة، كما هو ثابت في الرسالة في ربيع 701/2هـ، ووفاة محمد الثاني الفقيه 8/شعبان 701 هـ، في أزهار الرياض 341:2، أي أن تاريخ المعاهدة قبل وفاة السلطان محمد الثاني بعدة أشهر مما يدل على أن الرسالة صادرة عن محمد الثاني، وليس محمد الثالث كما أشار لها شكيب ارسلان، وتبعه في ذلك محمد ماهر حمادة أيضا.

(44)الحلل السندسية، 289-286:2، وفي الوثائق السياسية والإدارية للأندلس، 450-453.

(45) الحلل السندسية ، 289-286:2 ، الوثائق السياسية والإدارية للأندلس وشمال افريقية ، 450-453 .

(46) ينظر : مستودع العلامة ومستبدع العلامة ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، د.ط ، 1964م ، 41 .

(47) لمزيد من الأمثلة ينظر : نفح الطيب ، 616-615:2 ، التنصير ألقسري لمسلمي اسبانيا، في عهد الملكيين الكاثوليكيين ، د. محمد عبده حتمالة ، ساعد في طبعه الجامعة الأردنية ، عمان ، ط1 ، 1980 ، 61 .

(48) لمزيد من الأمثلة ينظر: نبذة العصر في دولة بني نصر، وهو كتاب آخر أيام غرناطة، مؤلف مجهول، تح: د. محمد رضوان الداية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، د.ط، 1984م، 48، 50، وينسب الكتاب إلى علي بن أبي زرع الفاسي .

(49) ينظر : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أبو العباس احمد بن احمد التنبكتي ، طبع عباس بن عبد السلام بن شقرون بالقحامين ، مصر ، ط1 ، 1351هـ ، وهو هامش على كتاب الديباج المذهب لابن فرحون ، 193 .

* محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، يكنى أبا عبدالله، كان محدّثاً راويةً ضابطاً شاعراً رائق الخط، استكتبه بعض أمراء الأندلس، توجه إلى أفريقيا واستقر ببجاية، مدح الرسول (ﷺ) كثيراً وكتب في الزهد كثيراً، ت، بعد عام 650هـ، ينظر: الإحاطة، 2: 256–264، نفح الطيب، 7: 354–459 .

(50) وردت في ريحانة الكتاب، 62-55:1، نفح الطيب 360-354:6، والإحاطة، 535-527:4، وصبح الأعشى، 467-458:6. كما ذكرت القصيدة بأولها في، نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، لسان الدين ابن الخطيب، نشر وتعليق: احمد مختار العبادي، مراجعة د. عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت،2: 123-126 .

(51) وردت في ريحانة الكتاب ، 80-62:1 ، و فصل منها في ريحانة الكتاب ، 205-203:1 ، وفي نفح الطيب 379-361:6 ، وقد وردت كاملة ومتصلة في الإحاطة ، 561-536:4 ، كما وردت القصيدة التي تصدرتها في ديوان الصيب والجهام ، 325-320 .

(52) وردت القصيدة في نفح الطيب ، وصبح الأعشى 33 بيتا ، وفي نفاضة الجراب 59 بيتا ، أما في الريحانة فهي 32 بيتا .

(53) في الإحاطة 527:4 ، ونفح الطيب 354:6 ، ورد العجز "حسب فؤادي أن يهب نسيمه"

(54) في صبح الأعشى، 462:6 "ذي".

(55) ريحانة الكتاب ، 62-55:1 .

(56) همع ودق : نزل مطر .

(57) ريحانة الكتاب ، 62-55:1 .

(58) في صبح الأعشى 462:6 ، ونفح الطيب ، 357:6 ، "وعبد طاعته".

(59) في المصدرين السابقين، والصفحات ذاتها، "بالصلاة عليه".

(60) في صبح الأعشى 463:6، "إلى رضى ربه"، وفي نفح الطيب، 357:6، "إلى رضى الله ربه".

(61) ريحانة الكتاب، 62-55:1 .

(62) في صبح الأعشى، 463:6 ، "كتبته" .

(63) في المصدر نفسه، 463:6، ونفح الطيب، 357:6، "ذات".

(64) ريحانة الكتاب ، 62-55:1 .

(65) المصدر نفسه .

(66) في صبح الأعشى ، 464:6 ، ونفح الطيب ، 358:6 ، "وعدتني" .

(67) في صبح الأعشى، 464:6 ، ونفح الطيب ، 358:6 ، "وعدتني" .

(68) ريحانة الكتاب، 62-55:1 .

(69) في صبح الأعشى، 467:6، "من حضرة جزيرة الأندلس" وفي نفح الطيب، 360:6، "وكتب بحضرة جزيرة الأندلس".

(70) ريحانة الكتاب، 80-62:1 .

(71) المصدر نفسه، 205-203:1 ، نفح الطيب 379-361:6 ، الإحاطة ، 561-536:4 ، كما وردت قصيدتها في ديوان الصيب والجهام ، 325-320 .

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

(72) ذكر في التقديم لهذه الرسالة ، أن تاريخها عام 761هـ ، والصحيح ما هو مثبت في المتن ، وذلك لأن الرسالة تحتوي جملة من الفتوحات كان أخرها عام 770هـ ، افتتاح الجزيرة الخضراء ، وموقعة الإسكندرية التي دخلها الفرنج وخربوها وخرجوا منها عام 768هـ . والرسالة في الريحانة ، 1:203-205 .

(73) الذخيرة السنية في الدولة المرينية ، مؤلف مجهول ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، د.ط ، 1972م ، 140-141 .

(74) المصدر نفسه .

(75) ينظر : الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري ، د. أحمد درّاج، دار الفكر العربي، مصر، د.ط ، 1961م ، 181-184 .

(76) لمزيد للأمثلة، ينظر: المصدر السابق، 191-199.

(77) في ريحانة الكتاب، "أهاب" والمثبت "أصاب" انسب للسياق.

(78) المصدر نفسه ، 1:337-340 .

(79) ريحانة الكتاب ، 1:337-340 .

(80) المصدر نفسه .

(81) المصدر نفسه ، 1:337-340 .

(82) المصدر نفسه .

(83) المصدر نفسه ، 1:337-340 .

(84) أدب الرسائل في الأندلس ، فايز عبد النبي القيسي ، دار البشير للطباعة والنشر ، الأردن ، ط1 ، 1989 ، 298.

(1) ريحانة الكتاب ،2: 224.

(86) كناسة الدكان، 164، وينظر: يوسف الأول بن الأحمر، سلطان غرناطة، د. محمد كمال شبانة، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط1، 1969م، 541 .

مصادر البحث:

- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين الخطيب، تح: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1973م.
- أدب الرسائل في الأندلس ، فايز عبد النبي القيسي ، دار البشير للطباعة والنشر ، الأردن ، ط1 ، 1989.
- ازهار الرياض في اخبار عياض, احمد بن محمد المقري التلمساني , صندوق احياء التراث الاسلامي المشترك بين المغرب والامارات العربية المتحدة , د.ط, 1978م
- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1960م.
- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، والقاهرة ، د.ط ، 1951.
- التنصير ألقسري لمسلمي اسبانيا، في عهد الملكيين الكاثوليكيين ، د. محمد عبده حتمالة ، ساعد في طبعه الجامعة الأردنية ، عمان ، ط1 ، 1980.
- حسن التوسل في صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد، بغداد، د.ط ، 1980م
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب ارسلان، مطبعة الحياة، بيروت، ط1، 1358هـ.
- درة الحجال في أسماء الرجال، أبو العباس أحمد بن القاضي، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، المكتبة العتيقة، تونس،ط1، 1970م.
- ديوان الصيّب والجهام والماضي والكُهام، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: د. محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ط2، 1973م.
- الذخيرة السنية في الدولة المرينية ، مؤلف مجهول ، دار المنصور للطباعة والنشر ، الرباط ، د.ط ، 1972م .
- روضة النسرين في دولة بني مرين، الأمير إسماعيل بن محمد بن الأحمر، المطبعة الملكية، الرباط، د.ط، 1962م.
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1981م،
- صبح الأعشى في صناعة الانشا ، احمد بن علي القلقشندي ، شرحه وعلق عليه ، نبيل خالد القطب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987م .

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480

- العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، 1977.
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، لسان الدين الخطيب، تحقيق: د. محمد كمال شبانة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980م.
- مستودع العلامة ومستبدع العلامة ، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، د.ط ، 1964م.
- الممالك والفرنج في القرن التاسع الهجري ، د. أحمد درّاج، دار الفكر العربي، مصر، د.ط ، 1961.
- نبذة العصر في دولة بني نصر، وهو كتاب آخر أيام غرناطة، مؤلف مجهول، تح: د. محمد رضوان الداية، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، د.ط، 1984م
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية، د.ت.
- نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب، لسان الدين ابن الخطيب، نشر وتعليق: احمد مختار العبادي، مراجعة د. عبد العزيز الاهواني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق: احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، 1968م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، أبو العباس احمد بن احمد التنبكتي ، طبع عباس بن عبد السلام بن شقرون بالقحامين ، مصر ، ط1 ، 1351هـ
- الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس شمال أفريقيا، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، سوريا، د.ط، 1980م.
- يوسف الأول بن الأحمر، سلطان غرناطة، د. محمد كمال شبانة، لجنة البيان العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط1، 1969م.

Sultanic Litters of Bani-Al-ahmer Age

AZEEZ HUSSIN ALI

Abstract

Sultanic Letters of Bani-Al-ahmer age have a special importance in literature; because, these litters artificially involved high level prose.

And, we haven't had serious studies, deeply focused on this kind of prose. So, previous studies generally tackled topical sides of these litters. They did not study artificial properties; I mean they did not study, what kind of literature that texts reveal to? Or show faces of beauty which contained.

Throughout the research literally I found Sultanic Letters keep on the high values along the period of Bani-Al-ahmer; writers have their articles, properties, and style very well.

We can distinct these kind of letters from others. Sultanic Letters reflected the way of life which Bani-Al-ahmer live in, also it reflected the life of state in politics and management during that era.

Keyword : Royal letters, prose, Andalusian literature, rhetoric, the purposes of the official message.

DOI:10.52113/uj05/022-15/1467-1480